بعض آيات القلة والكثرة في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

أ.م. د إبراهيم علي الفحل
جامعة تكريت - كلية التربية للبنات- قسم علوم القرآن

□

المقدمة

الحمدُ لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:يمحص الله اختيارهم وإرادتهم، ومن ثبات هذه السنة الكونية التي كشف عنها الحق جل وعلا يستطيع كل ذي عقل أن يفهم أن الوصول إلى الحق والخير والفضيلة لا يمكن بحال من الأحوال الوصول إليه من خلال اتباع أكثر الناس؛ ولا أقل الناس لأن أكثر الناس دهماء توجههم أهواؤهم وشهواتهم، ,لا أقل الناس وبالتالي لا مناص لكل من يبحث عن الحقيقة من التأمل والتدبر والتفكر واتخاذ قراره بناء على ما توصل هو إليه من نتائج، وأن ما تتبعه الأكثرية ليس فيه أي مؤشر على الصواب بل على العكس من ذلك تماما.

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب الاختيار

١- ارتباط الموضوع بكتاب الله (جل وعلا) فمن هنا تنبع أهمية الموضوع ، فضلاً عن الرغبة بتعلم شيء من مكنونات الكتاب العظيم.

٢-الحاجة إلى توضيح مفهومي (القلة والكثرة) من المنظور القرآني، وتتبع مواضع ورودها ببعض ما ذكر من القرآن الكريم.

٣- القيمة العلمية المرتبطة بالموضوع كونه يدرس لون من ألوان التفسير الموضوعي.

ثانياً: أهداف الدراسة

١- تقديم دراسة موضوعية عن القلة والكثرة في القرآن الكريم.

٢- ربط موضوع البحث بالواقع المعاصر المعاش.

٣- إبراز مفهوم القلة والكثرة في مواطن القرآن الكريم.

ثالثاً: منهجية الدراسة:

١- اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك من خلال النظر في الآيات القرآنية، والاستنارة بآراء المفسرين ، ويقوم البحث على:

أ- عزو الآيات بالأرقام إلى سورها وكتابتها بالرسم العثماني.

ب- تخريج الأحاديث النبوية ؛ بعزوها إلى مصادرها الأصلية.ختاماً... هذا جهدي فأن بلغت الصواب فمن الله (عزوجل) وأن أخطأت فمن نفسي والشيطان، واللهُ منهما براء، والحمدُ لله ربّ العالمين، وصلِ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبهِ وسلم.

التمهيد: مدخل مفاهيمي لحدود البحث

أولاً: مفهوم القلة في اللغة والاصطلاح.

القلة في اللغة من قل الشيء وكثر وهومن قليل الشيء وأكثره .

القلة في الاصطلاح: تأتي القلة في الاصطلاح من قليل الشيء وكثيرة ، وتكون في الفئة المؤمنة والفئة الملتقية مع غيرها.

المبحث الأول: بعض آيات القلة في القرآن الكريم ، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : قلة المؤمنين مع نوح (عليه السلام)

في رحلة هود (عليه السلام) الدعوية في نبذ عبادة غير الله (جل وعلا) ،إذ استخدم كل الطرق لدعوة الناس إلى طريق التوحيد ، فكان الحل النهائي اختيار الصفوة المختارة معه ، والنجاة من الغرق ، وكانت هذه الصفوة قليلة ،إذ تحدث القرآن الكريم عن هذه القلة ،قال الله تعالى ولذلك كانت الأقلية هي الناجية في مسيرة الدعوة عبر التاريخ، من لدن نوح الذي آمَنَ مَعَهُ الْقَلِيلٌ .وهذه القلة التي اختارها نوح عليه السلام تمثل الصفوة المختارة التي اختيرت من اجل ان يرتقي بهم الى بر الامان وذلك لأن نوح عليه السلام قد دعى قومه ليلا ونهارا فلم يزد هذا الدعاء الا فرار من دعوته لان نوح استغرق في الدعوة الى الله ردحا من الزمن في سبيل ان يعيد قومه الى جادة الصواب فلم يستجيب له احد مع طول ومكث الدعوة الى الله ، فاختار الصفوة ثم اركبهم في السفينة من كل زوجين اثنين اثنين ، الا ابنه قال انا سانجو من الغرق ولكنه غرق ولم يفيده جبل ولا ماء ولا مرتفعات تذكر ،ونحن اليوم نجد القلة المؤمنة كذلك محاربة وغريبة . فيمكن أن نلمس هذا المعنى في وقتنا الحاضر من قلة المصلين في صلاة الفجر فهم قلة، ونجد المتصدقين في سبيل الله قلة، ونجد الشباب المتحمس لدينه

الغيور عليه قلة، ونجد النساء المحجبات الحجاب الكامل قلة، وهلم جرة إلى ما لا نهاية، ولعلة هذه الغربة يمكن أن توصف غربة عن الدين، حتى ابتعد بعض الناس عن الصبغة الإيمانية التي صبغنا بها ، وهي احسن صبغة.

المطلب الثاني : قلة الناهين عن الفساد في الأرض

القرآن الكريم في كثير من آياته نهى عن الفســـاد في الأرض لأنه يؤدي إلى فســـاد المجتمع بأكمله ، فنجد في قوله تعالى النهي عن الإفساد في الأرض بعد الإصلاح، كذلك في قوله تعالى فالنهي عن إهلاك الحرث والنسل مرتبط بالفساد في الأرض، وصرح القرآن الكريم أن البقية التي تبقى وتنهي عن الفســـاد في الأرض بدلالة . ان قلة الناهين في الارض قليلون الذين ينهون عن الفســـاد في الارض وذلك لهيمنة الشر عليه ، وذلك في كثير من الايات القرآنية التي تشير الى النهي في الفساد في الارض والله لا يحب الفساد وذلك لان الفساد يؤدي الى كثير من تفكك المجتمع العام والخاص وذلك فيما يؤدي الى تدمير الاسر الاسلامية لان كل فساد يؤدي الى مشكلة كبيرة وهو قد ظهر من وقت كبير ظهر الفسادر في البر والبحر والبحر المقصـود القلب ، لا ن القلب بحر عميق فاذا فسـد فسـد المجتمع باكمله لان الرسول قال ان في الجسد مضـغة اذا صلحت صلح الجسد وحدد مكان وقال هو القلب المستهدف في عمار وخراب المجتمع ، وفي قلة الناهين عن الفساد مغبة ظهور الاخلاق الردئية في المجتمع وهو نذير شر مستطير وكبير يجب ان نكون من الكثرة الناهية عن الفساد لا القلة التي قال قلة الناهين عن المنكر في ربوع الارض لان المنكر يســتشــري ويحسـب صــاحبه ان يحسـن صــنعا وهو في الحقيقة من الخاسرين الهالكين في هذا المجتمع الذي تعصف به اهواء الشهوات والشبهات الكثيرة التي يجب ان نكون من الكثرة الناهية وليس من القلة التي تجلس في مكان وتنظر نظر المتفرج فقط .فعندما يستشري الفساد ويكون في ذروته لا بد من ان يكون هناك بقية ينهون عن الفسـاد في الارض وذلك لان دين الله لا يطفىء ولو كرة المجرمون متم نوره ولا يجتمع اهل الفســاد على فســادهم الا ســلط عليهم من هذه البقية المؤمنة من تؤمن بالله حتى تنهي عن الفسـاد في الارض لان سـنن الله ثابتة لا تتغير لا يمكن ان يعلو الفسـاد في الارض وان كانت هذه القلة قليلة وخطواتها وئيدة وبطيئة ولكن فعلها كبير وكثير بفعل التاييد الرباني في الارض الذي يؤيد به عباده المؤمنين لا يمكن لموازين الارض ان تختل في قضـية النهي عن الفسـاد في الارض ما بلغ الفسـاد ذروته وجبروته لا بد للنصـر الله ان يأتي، وفي لمحات النصـر الالهي تجد التأييد مع القلة المؤمنة فموازين القلة والكثرة تختلف عند الله تعالى لست الكثرة على خير قد يكون غثاء كغثاء السيل المنجرف فنحن نرى اليوم المسلمون عددهم مليار ، ولكن القلة التي تنهي عن الفساد قليلة وهذ الموازين الدنيوية لا يمكن ان تكون موازينها دقيقة دوما وذلك لان الدين منتصـر لا محالة وذلك في القيم الموجودة، ففي القرآن الكريم نجد قليلا ما هم قليلا ما يتذكرون والقلة التي ذكرت في كثير من الايات تنذر بوجود المصـلحين ولكن قليل جدا ، ونحن نريد ان نقف على حقيقة اليوم في ان كثير من المصـلحين قد اكتفى بصـلاحه هو فقط، وجعل الامة تعربد في فسادها دون النهي عن المنكر والامر بالمعروف ، فيمكن ان يكون بالقلب وهو اضـعف الايمان في طريق الاصـــلاح الذي نريد ان نتوجه اليه اما اذا كانت قليلة الفئة التي تقوم بهذا الامر فهنا تحل المصـــيبة والكارثة التي تحتاج الى علاج ناجع ونافع. فلا يمكن ان نتجاوز قضـيتنا اليوم وهي طريق الاصــلاح الذي يبدأ بالتغيير من اجل اصــلاح الجيل فلا بد للقلة القليلة المؤمنة ان تسحق الكثرة الفاسدة اليوم وذلك برسم الخطط للاصلاح الجيد لا ان نبني في فضاء لا ماء ولا شجر فيه لان هذا يؤدي الى عدم التخطيط الجيد الذي نتطلع له في بناء الجيل من خلال القلة المؤمنة ؛ فالكثرة في بعض الاحيان لا تجدي نفعا فكم من مصلي للفجر قلة ، مع العلم ان المسـلمين مليار ونصـف اليوم، اين هم اليوم.فلا بدّ أن يقيض الله (جل وعلا) لدينه من يدافع عنه ، حتى ولو كانت بقية من قلة قليلة يمتازون بالفهم والعقل ، ولا يخلو زمن منهم ، إنّ نعم الله (عزوجل) تحتاج دوام الشـكر، ويكون الشـكر على الخير والشـر في السـراء والضراء، وقلة الشاكرين صفتهم إذا أغدق الله (عزوجل) عليه نعمة يقول هذه بكسب يدي، وإذا أصابته نقمة دعى الله أن يكشفها؛ فالحالة السوية للعبد أن يكون شـاكراً لنعم الله في كل وقت وحين يشير الله الى ان الشكر يكون بالعمل لان اشارة الى ال دواود في حضـهم على الشكر بالعمل وليس بكثرة الكلام ، لان كثرة الكلام دون عمل لا تجدي نفعا ، لان القلة الإشارة إلى أن الله خفف الأمر على عباده أن شكر الله جل وعلا يحتاج الى شكر ودوام على النعمة ، لان القلة في الشكر هنا حقيقية وذلك لان الكثير منهم لا يشكرون وذلك لا نشغالهم في الدنيا فينسـى الشـكر على نعمة الله لهذا قال وقليل من عبادي الشكور فكان المعنى كثير منهم ينعم الله عليه بنعم ويغدق عليه بشـتى انواع

النعم ويظن انه من كسب يديه وينسى المنعم الله الذي انعم عليه بشتى صنوف النعم وهي من الله ومن الله وبتيسير من الله لا بفعل العبد الذي لولا الله لما كان له وجود البتة ، وذلك في ارخاء النعم على الانســـان قد تكون للابتلاء وليس هي دائما للنعيم الذي يتوهم الناس انه دلالة على الرضا من الله عزوجل ، ولهذا ان قلة الشكورين سببه ان كل هذه النعم هي بفعله وليست من الله وهنا يكمن الخطا الكبير والفادح في توصيف الامور التي لا يمكن فهمها اليوم من بعض الناس ، لان المقصود بالنعمة الشكر عليها بدوام الصدقة على الفقراء لانها عمل وليس فقط كلام ، او اعانة على رحمة الله فيما يملك الانسان من مال لانه مال الله وليس مال الانسان فانت خليفة عليه ، وليس من ملك لان الله هو المنعم على عباده وليس الانسان لهذا نرى قلة الشاكرين من عباد الله لان مواطن الانفاق كثيرة لا تقتصر على شيء واحد بل هي موارد كثيرة ومتعددة في رحاب المعمورة الكبيرة التي تضيق ذرعا ببعض الناس في كونهم لا يملكون شيئا من متاع الدنيا الا القليل .

ويمكن أن نقول في أن رضا الله (عزوجل) معلق بالشكر؛ فالعافية مع الشكر خير من البلاء مع الصبر، فيجب علينا أن نتعلم كيف نكون شاكرين، وذلك من خلال:

١- القناعة بما قسمَ الله (جل وعلا).

٢- سجود الشكر.

٣- الدعاء.

٤- التفكر في نعم الله(جل وعلا).

٥- النظر إلى أهل الفاقة والبلاء.

وان الشكر له موارد كثيرة لا تنقطع باي حال من الاحوال فانت تسجد لله سجدة الشكر على ما انعم عليك من خير عميم وكثير هذا يعني انك تؤدي شكر النعم ، وهذا يحسب في ميزان الشاكرين الذاكرين الله كثيرا، والدعاء في حد ذاته هو من الصفات التي يتميز بها الإنسان حتى يكون من الشاكرين لانه يعتبر من موارده واساسياته التي يعتبر من الشكر على نعم الله المبثوثة في الكون الفسيح ، كذلك النظر الى اهل الفاقة والعوز وشكرت الله كثيرا وحمدته على ان الله قد اعطاك بيتا ورزقا وسكنا تلتجا اليه فهذه بحد ذاتها نعمة كبيرة جدا ، في تذكر اهل الفاقات وانت هرعت الى مصلاك وشكرت الله كثيرا على ما اعطاك وكذلك النظر الى اهل المصائب اليوم وما يجري لهم وانت تشكر الله على النعم وتخر في مصلاك ساجدا لله شاكرا لانعمه هذه بحد ذاتها نعمة كبيرة يجب على الانسان ان يشكر لا ان يكفر والكفر لا نعني به الكفر البواح المخرج عن الملة وانما نعني به من كفر الفلاح الزرع اي ستره وهو ستر التلفظ بالنعم الظاهرة والباطنة فكم منا من يصبح في نعمة كبيرة وعافية ولا يحمد الله عليها اليس هذا تكفيرا للنعم واضح كوضوح الشمس في رابعة النهار.

المبحث الثاني: بعض آيات الكثرة في القرآن الكريم ، وفيه ثلاثة مطالب:

ذكر القرآن الكريم آيات الكثرة في عديد من المواطن ، ولكل آية تحمل في طياتها معنى يفهم من خلاله ما المراد بالكثرة في هذه الآية، على هذا الإساس المبحث إلى ثلاثة مطالب ، لنكشف عن هذه المواطن ، وبالله التوفيق.

المطلب الأول: مخالفة الكثرة للحق

ليس الحق مع الكثرة دائماً، يتوهم الإنسـان في كثير من الأحيان أنه على حق وهو يسـمع ويعقل ؛ بل هو مجانب الصـواب تماماً، فقد بين القرآن الكريم هذا المعنى ، ويمكن أن يكون سمعه وعقله وهو مع الأكثرية التي تظن أنهم على صواب ، وهذا كثير في مجتمعنا اليوم فنحن حين نتحدث لا بدّ أن نربط بالواقع المعاصر اليوم ، فكثير من يصطف مع الباطل ويظن أنه على الخير.وقد يريد الله منا ان لا نكون كالانعام بل هم اضل ، لان الله ميز هذا النوع من البشر وهم مسلوبي العقول والافهام، بانهم لا يعقلون ولا يبصرون ، وهذا المقصود من القلة التي لا تشــكر أو الكثرة التي لا تحمد الله على جاء بهم من النعم الكثيرة فنحن اليوم نريد ان نبين ان الكثرة الكثيرة غير محمودة لانها غثاء كغثاءالسيل العارم الذي لا يفاد منه شيئا قط ، فلهذا القلة الشاكرة خيرا من الكثرة المشركة في موازين الله جل وعلا، فلا يمكن اليوم ان تكون هذه الامة مرهوبة الجانب الا اذا طغت الكثرة المؤمنة على القلة القليلة التي تعمل في الظلام لطمس هوية الدين الحنيف اليوم، فنرى كثير من الكثرة من الشباب لا تهمه قضية الاسلام ابدا بل هو يلهث وراء المودة والتطور والاعمى الذي لا يجدي نفعا فنحن مع القلة القليلة

الشاكرة لانعم الله ولسنا مع السيل الجارف الذي جرف ابناءنا اليوم ودمرهم بشتى الطرق المحتلفة والذي سببه هو الكثرة التي تظن نفسها انها على خير وكثرة الشباب والنساء والبنات ولكن الفعل قليل جدا لا يرتقي الى سلوك الانسان الذي لا بد من ان يكون في أوج التطور الذي يجب ان نحلق به ونركب معه في حياتنا اليوم.وفي الآية القرآنية استغراب من فعل هؤلاء الذين يحسبون انهم على خير، وجاء هذا المعنى في غير موضع من القرآن الكريم .فمن جاءته الحجج فلا حجة عليه هكذا قالوا، فمن لم يامر بالمعروف وينهى عن المنكر يكون في الاخرة من الخاسرين الهالكين وذلك لقلة الشاكرين اليوم في مجتمعنا وكثرة الجاحدين في نعم الله والجحود يكون بانكار النعمة والمنعم في آن واحد، وذلك يكون في الكثرة الكاثرة فهم كماء في غربال لا يمكن ان نعول على الكثرة اليوم والقلة تكون قليلة في معزل من امرها في ترتيب الالوليات لا يمكن ان تكون كثرة لا تعمل وقلة نائمة لا يمكن ان تفقه من امرها شيء البتة القطع في ذلك، وحين نكون امة خيرية اخرجت للناس لا بد من ان تكون هذه الامة يشار اليها بالبنان وذلك لان كل امة لها كيان وامة محمد وصفت بالخيرية المطلقة وعلى الناس اجمع لا يمكن ان نقلل من شان هذه الخيرية بعدم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي ذلك ترجمة لمعاني سامية كثيرة في معطيات كلامنا عن القلة والكثرة في القران الكريم وكيف ان القران يحدد ويوصف تارة بالكثرة وتارة بالقلة واكثرهم وقليل ما هم في المرتكزات الاساسية يكون المعنى اوسع وادق في توظيف المعاني السامية الدقيقة في بيان معنى مراد الله من ايراد القلة والكثرة في القرآن الكريم.

من خلال ما سبق يمكن أن نخرج بنتيجة وهي:

١- أن صوت الحق يعلو وأن تعالت كل أصوات الباطل.

٢- لا بدّ من قول كلمة الحق في كل المواقف وعدم المداهنة على سبيل الباطل.

٣- عند اصطدام المصالح أو تضاربها يختفي قول الحق ، وذلك لتحصيل منافع دنيوية زائلة.

٤- السمع والعقل لا يؤهل الإنسان أن تكون له حصانة من النفاق، بل وصفهم القرآن الكريم هم كالأنعام بل هم أضل.

المطلب الثاني : لا يستوي الخبيث والطيب ولو كثر الخبيث

في الحياة يوجد الصالح والطالح ويوجد الخبيث والطيب ، فيجب على الإنسان أن تكون له فرزنة بين الخبيث والطيب ، وأن علا الخبيث وأن أعجبك، لأن الذي خبث لا يخرج إلا نكداً، قال الله تعالى ، والمراد بالخبيث والطيب الأمور المعنوية والمادية ، فأن الآية القرآنية ختُمت بوجوب التقوي عن اكل الحرام ووصفهُ بالخبيث ، والطيب أكل الحلال، وقد صف الكلام الطيب بأنه طيب والكلام البذيء خبيث ، وذهب إلى توضيح هذا المعنى البقاعي (رحمه الله) بقوله : قل لا يستوي الخبيث أي من المطعومات والطاعمين والطيب أي كذلك ، فإن ما يتوهمونه في الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان من جهة الخبيث ،ولما كان الخبيث من الذوات والمعاني أكثر في الظاهر وأيسر قال : ولو أعجبك كثرة الخبيث والخبيث والطيب منه جسماني ومنه روحاني ، وأخبثهما الروحاني وأخبثه لشرك ، وأطيب الطيب الروحاني وأطيبه معرفة الله وطاعته ، وما يكون للجسم من طيب أو خبث ظاهر لكل أحد ، فما خالطه نجاسة صار مستقذراً لأرباب الطباع السليمة ، وما خالط الأرواح من الجهل صار مستقذراً عند الأرواح الكاملة المقدسة ، وما خالطه من الأرواح معرفةُ الله فواظب على خدمته أشرق بأنوار المعارف الإلهية وابتهج بالقرب من الأرواح المقدسة الطاهرة ، وكما أن الخبيث والطيب لا يستويان في العالم الروحاني كذلك لا يستويان في العالم الجسماني ، والتفاوت بينهما في العالم الروحاني أشد ، لأن مضرة خبث الجسماني قليلة ، ومنفعة طيبه يسيرة ، وأما خبث الروحاني فمضرته عظيمة دائمة وطيب الروحاني منفعته جليلة دائمة ، وأدلّ دليل على إرادة العصاة والمطيعين قوله : (فاتقوا الله) أي اجعلوا بينكم وبين ما يسخط الملك الأعظم الذي له صفات المال من الحرام وقايةً من الحلال لتكونوا من قسم الطيب ، فإنه لا مقرب إلى الله مثلُ الانتهاء عما حرم.(١)كذلك لهذا المعنى . "ههنا شجرتان. . إحداهما ضُرِبت مثلاً للكلمة الطيبة – أي كلمة طيبة وهذه الشجرة قد تهيأت لها أسباب النمو والرواء فالتربة خصبة والسقي منتظم، لذلك ضربت جذورها في أرضها الطاهرة فنمت أصولها وطالت فروعها حتى كادت تلامس السماء ودام ثمرها فهي تؤتيه – بإذن ربها – كل حين، والثانية أبيدت بمجرد ظهورها فوق الأرض فلم تنم ولم تضرب جذورها في الأرض. . وشتَّان بين هاتين الشجرتين. الأولى حمل الكلمة الطيبة على جنس الكلام الطيب، والكلمة الخبيثة على جنس الكلام الخبيث لا أن تخص الأولى بكلمة التوحيد. والثانية بكلمة الكفر، ولا مانع أن تكون كلمة التوحيد

أصلاً في الكلمة الطيبة، وكلمة الكفر أصلاً في كل كلام خبيث، والتشبيه في الصورتين تشبيه مفرد – وهو " الكلمة الطيبة " في الأولى، و" الكلمة الخبيثة " في الثانية – بمركب. وهذا ظاهر، ووجه الشبه في الأولى ما يترتب على كُل من الآثار النافعة. والمنافع الجمَّة، أما في الثانية فالوجه عدم ترتب آثار نافعة في كُلا، وإن كان أثر الكلمة الخبيثة هو إدخال قائلها النار." [٢] فيمكن لنا أن نقول : أن الطيب والخبيث لا يستويان قطعاً، وأن كانت الأكثرية للخبيث على حساب الحق، ولهذا ختم الله جل وعلا الآية الكريمة ، بوجوب التقوى والحذر في انتقاء الحديث الطيب والأكل الطيب ، والابتعاد عن كل ما خبث ، ولعل أشارة كبيرة في الوقت الحاضر فمنهم من يأكل الربا ويعجبه هذا بفتوى من عنده وهو حرام وخبيث، أو منهم من يزني ويقول أن الله غفور رحيم فيعجبهُ وهذا الفعل وهو حرام وهلم جرا إلى ما لا نهاية فيما يموج به المجتمع من فتن ومحن نسأل الله السلامة منها.

المطلب الثالث : وصف الأكثرية بأنهم لا يؤمنون

وصف القرآن الكريم المسلمون والمؤمنون ، ولكل قسم من هؤلاء مراتب عند الله لأن أصل كل العبادات الخشوع وقد ذكر الزمخشري (رحمه الله) أن المراد بهم العموم ، وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ يريد العموم وَلَوْ حَرَصْتَ وتهالكت على إيمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم وَمَا تَسْأَلُهُمْ على ما تحدثهم به وتذكرهم أن ينيلوك منفعة وجدوى كما يعطى حملة الأحاديث والأخبار إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ عظة من الله لِّلْعَالَمِينَ عامة ، وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله . [٣]ولو تحرص كل حرص على إيمانهم فانهم ليسوا بمؤمنين ، هذه الأكثرية التي وردت هنا مفادها، أن المشركين لا يؤمنون مع كثرة دعوتهم إلى الإيمان ، لأن مداركهم ومقاصدهم قد أصبحت فاسدة، فلا ينفعهم حرص الناصحين عليهم ولو عدمت الموانع بأن كانوا يعلمونهم ويدعونهم إلى ما فيه الخير لهم، ودفع الشر عنهم، من غير أجر وفي بيان الآيات وإبراز الحجج ، تأتي هنا الأكثرية بأنهم لا يؤمنون مع وضوح الحق "إِنَّ فِي ذَلِكَ إن في إنبات تلك الأصناف أو في كل واحد. لَآيَةً على أن منبتها تام القدرة والحكمة، سابغ النعمة والرحمة. وَما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ في علم الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم أمثال هذه الآيات العظام، وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الغالب القادر على الانتقام من الكفرة. الرَّحِيمُ حيث أمهلهم أو العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن، أي إن في إنبات تلك الأصناف لآية على أن منبتها قادر على إحياء الموتى وقد وفي قوله تعالى في أحقاق الحق عليهم في أطلاق الأكثرية بأنهم لا يؤمنون، قال الله " يقول تعالى ذكره: لقد وجب العقاب على أكثرهم، لأن الله قد حتم عليهم في أم الكتاب "فَأَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بَعْدَ ذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ يَتَوَقَّفُ لِاسْتِمَاعِ الدَّلِيلِ فِي مُهْلَةِ النَّظَرِ يُرْجَى مِنْهُ ولقد بين للناس في هذا القرآن، ووضحنا لهم الأمور، وفصلناها؛ كيلا يضلوا عن الحق، ويخرجوا عن طريق الهدى. ومع هذا البيان وهذا الفرقان، الإنسان كثير المجادلة والمخاصمة والمعارضة للحق بالباطل، إلا من هدى الله وبصَّره لطريق النجاة .

الخاتمة

١–القرآن الكريم من خلال وصفه لأكثر الناس بتلك الأوصاف إنما يقرر قاعدة عامة، وسنة كونية، حاصلها أن الخير والصلاح والهداية في البشر عامة قليل، وأن الأكثرية على عكس ذلك، فكثير منهم لا يؤمنون، وكثير منهم لا يعلمون، وكثير منهم لا يشكرون، إلى غير ذلك من الأوصاف التي تناولها القرآن الكريم.

٢–الأصل في الإنسان أن يولد مفطوراً على الإيمان بالله سبحانه، بيد أن جملة من المؤثرات الخارجية تأخذ بيده ذات اليمين وذات الشمال، فإما تثبِّته على طريق الحق والخير، وإما تدفع به إلى طريق الغواية والضلال. والخطاب القرآني يفيد أن الأكثرية تختار الطريق الثاني.

٣–أن الآيات التي ذمت (الأكثرية) ينبغي أن تقرأ ضمن سياقاتها التي وردت فيها، وأن تُفهم وفق أسباب نزولها؛ إذ الأغلب في تلك الآيات أنها وردت في حق أقوام معينين، وبالتالي فذم (الأكثرية) ليس على إطلاقه، لكن ثمة بعض الآيات التي وصفت (الأكثرية) بأوصاف مذمومة، يفيد سياقها أن المراد منها مطلق الوصف، بمعنى وصف (الأكثرية) من الناس بهذا الوصف المذموم، لا أقوام معينين، فالسياق هو المحدد الرئيس في بيان المراد، فينبغي الالتفات إليه.

٤- في المقابل نجد أن القلة وقعت مورد المدح الإلهي خاصة في المستوى الإيماني والجهادي لأنها التعبير الصادق عن رفض الانجرار وراء الأكثرية التي توهمت أن كثرتها تجعلها محقة فيما عليه هي من الاعتقاد أو أنها طريق النصر، ولذلك كانت الأقلية هي الناجية في مسيرة الدعوة عبر التاريخ، من لدن نوح الذي آمَنَ مَعَهُ القَلِيلُ .

٥- الأقلية من حيث هي أقلية. كلاهما قد تُمدَحُ أو تُذَمُّ، ، ولكن باعتبارات خارجة عنهما. بل إن هناك من الشواهد في الكتاب الكريم ما يوحي بأن الأكثرية.